الالتزام في شعر زهير بن أبي سلمى

م.م. كامل كريدي كوكس القريشي

وزارة التربية/ معهد الفنون الجميلة– الرصافة

الملخص :

تمثل قضية الذاتية والجماعية إحدى أهم القضايا التي أثيرت في الأدب العربي قديما وحديثا، وقد اتسعت هذه القضية نتيجة لظروف توسع المجتمعات الإنسانية وزيادة الروابط بينها، واتخذ التعبير عن القضايا الجماعية أو القومية مصطلح (الالتزام) على يد الفيلسوف الفرنسي روسو.وفي الأدب القديم نجد التعبير عن القضايا الجماعية (الالتزام) عند عدد من الشعراء، ومن أبرزهم الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى، والذي اتخذ الالتزام عنده محورين كبيرين: محور الحرب، ومحور الفخر القبلي.

المقدمة

لا يزال أدب الجاهليين على بعد ما بيننا وبينهم يشع علينا من حرارة عاطفته ومن دفء معانيه، وما نفتأ نحس نشوة خيالاته الفطرية القريبة، وتدهشنا جفوة ألفاظه الغريبة وتعجز فهمنا أحياناً تركيباته الدقيقة العجيبة؛ فلا غرو أنه الجذر الأصيل الثابت لدوحة الأدب العربي الظليلة المثمرة[1].

من أجل ذلك تعددت نظرات النقاد ودارسي الأدب عبر العصور المختلفة إلى الأدب الجاهلي؛ فصنف من النقاد نظر إليه نظرة وصفية؛ بوصفها قواعد وتقاليد للقصيدة العربية يجب أن تسير عليها، ونشأت نتيجة لذلك نظرية عمود الشعر[2] العربي، تلك القضية التي أثارها الآمدي (ت370هـ) في كتابه الموازنة[3]، وبسطها المرزوقي في شرح ديوان الحماسة[4]. ومنه من رفض النظر إليه هذا النظرة المقدسة، واعتبره نوعا من أنواع الأدب التي تخضع للمعايير النقدية المختلفة كما يخضع غيرها؛ يقول القاضي الجرجاني (ت: 392هـ): "ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدْح فيه؛ إما في لفظه ونظمه، أو ترتيبه وتقسيمه، أو معناه، أو إعرابه؟ ولولا أن أهلَ الجاهلية جُدّوا بالتقدم، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة، والأعلام والحجة، لوجدتَ كثيراً من أشعارهم معيبة مسترذَلة، ومردودة منفية، لكن هذا الظنّ الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم، ونفى الظِّنة عنهم، فذهبت الخواطر في الذبّ عنهم كلّ مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام"[5].وقد ظهرت في النقد الحديث بعض النظريات النقدية الجديدة التي بعضها مستمد من النقد الغرب، والتي تدرس الأدب وفق معايير خاصة بها، مثل البنيوية[6]، والتفكيكية، وغيرها، وأدى ذلك لوجود قضية

كبيرة شغلت بال دارسي الأدب عموما والأدب الجاهلي خصوصا، وهي: هل نخضع الأدب الجاهلي لمناهج ومذاهب النقد الغربي الحديث؟[7].وتحاول هذه الدراسة أن تجيب على هذا السؤال من خلال قراءة الإبداع الشعري لأحد شعراء العصر الجاهلي وفق منهج نقدي حديث مسمد من الغرب، وهو منهج الالتزام الذي وضع أسسه ونظر له الفيلسوف الفرنسي الشهير جان بول سارتر رائد الفلسفة الوجودية الحديثة[8].وقد اختارت الدراسة تطبيق نظرية الالتزام هذه على الإبداع الشعري لأحد أكبر الشعراء في العصر الجاهلي، وهو زهير بن أبي سلمى المزني الذي وضعه ابن سلام الجمحي (ت: 232هـ) في الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين[9]، وذلك من خلال موضوع «الالتزام في شعر زهير بن أبي سلمى». وقد اعتمد الباحث في تلك الدراسة حول ظاهرة الالتزام في شعر زهير بن أبي سلمى على المنهج الوصفي التحليلي، ذلك المنهج الذي يقوم على أساس تحديد خصائص الظاهرة، ووصف طبيعتها، ونوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها، وما إلى ذلك من جوانب تدور حول سبر أغوار مشكلة أو ظاهرة معينة، والتعرف على حقيقتها في أرض الواقع، ويُعد بعض الباحثين أن المنهج الوصفي يشمل كافة المناهج الأخرى، باستثناء المنهجين التاريخي والتجريبي؛ حيث إن عملية الوصف والتحليل للظواهر تكاد تكون مسألة مشتركة وموجودة في كافة أنواع البحوث العلمية، ويعتمد المنهج الوصفي على تفسير الوضع القائم؛ أي: ما هو كائن، وتحديد الظروف والعلاقات الموجودة بين المتغيرات، كما يتعدى المنهج الوصفي مجرد جمع بيانات وصفية حول الظاهرة، إلى التحليل والربط والتفسير لهذه البيانات وتصنيفها وقياسها واستخلاص النتائج منها[10].

التمهيد: مصطلح الالتزام في الأدب النشأة والمفهوم

إن قضية الالتزام في الأدب ليست حديثة، وقد اشتد اللغط حولها بشكل خاص منذ أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، تعددت مفاهيمها وتباينت، وإن كان البعض قد توهم أن الالتزام يعد نوعاً من القيود التي تكبل حرية الأديب، والبعض الآخر فهم من الالتزام حتمية التعبير عما يريده الحكام –وبخاصة في النظم الاشتراكية– والدعاية له، بحيث أصبح الالتزام إلزاماً، وشتان بين المصطلحين، وذهب آخرون إلى الفصل بين الناثر والشاعر في ما يتعلق بهذه القضية، فحرروا الشاعر من كل التزام، وفرضوا على الناثر الالتزام في ما يكتب أو يقول[11]. ويتضح مفهوم الالتزام من خلال الإجابة على سؤالين غاية في الأهمية سألهما وجاوب عليهما الفيلسوف الفرنسي جان بول ساتر، وهو من أكبر المنظرين لفكرة الالتزام في الأدب، وهذان السؤالان هما: لماذا نكتب؟ و: لمن نكتب؟ يقول جان بول سارتر في الإجابة على السؤال الأول: "إن الكتابة دعوة موجهة من الكاتب إلى حرية القارئ لتكون عونا للكاتب على إنتاج عمله، وقد يعترض بأن كل الآلات بمثابة دعوة موجهة كذلك إلى حريتنا؛ إذ هي وسائل للعمل في حيز الإمكان؛ فليس للعمل الفني في هذه الجهة ميزة خاصة، وإنه لحق أن الآلة مختصر مجسد

للعملية التي تستخدم فيها، ولكنها تظل في مستوى الأمر المعلق؛ ففي مكنتي استخدام القدوم لأسمر به حقيبة أو لأقرع به رأس جاري، فإذا نظرت إليه في نفسه فليس هو بدعوة موجهة إلى حريتي؛ لأنه لا يضعني أمامها وجهًا لوجه، بل يهدف أولا إلى خدمة الحرية مستبدلا بالاختراع الحر للوسائل سلسلة من التصرفات التقليدية المنظمة والكتاب لا يخدم حجريتي، ولكنه يستثيرها للعمل. وفي الحق لا يستطيع امرؤ أن يتوجه إلى الحرية –من حيث إنها حرية– بوسائل القهر أو الحيلة أو المنفعة؛ فليس للوصول إليها سوى طريقة واحدة تنحصر أولا في الاعتراف بها، والثقة فيها، ثم في تطلب عمل منها باسمها هي –أي: باسم الثقة التي أوليتها– فليس الكتاب إذن كالآلة في أنه وسيلة لأية غاية، بل يتجلى في صورة غاية لحرية القارئ"[12].

في هذه الفقرة يرى ساتر أن الكاتب يكتب لاستثارة القضايا المهمة عند القارئ، ولعل اهتمام سارتر بقضية الحرية التي اهتم بها، وكانت رأس اهتمام مدرسته الوجودية الفلسفية، تلك التي ربطت بين حرية الإنسان ووجوده، وذلك الوجود سابق على ماهية الإنسان نفسها؛ فالإنسان عند سارت والوجوديين جميعا حر كل الحرية يعمل ما يشاء ولا يتقيد بأي شيء[13]. وأما السؤال الثاني فقد أجاب عليه سارتر بقوله: "ما دامت حرية المؤلف وحرية القارئ تبحث كل منهما عن الأخرى، ويتبادلان التأثير فيما بينهما من ثنايا عالم واحد؛ فمن الممكن أن يقال: إن ما يقوم به المؤلف من اختيار لبعض مظاهر العالم هو الذي يحدد القارئ، كما يمكن أن يقال أيضًا إن الكاتب –حينما يختار قارئه– يفصل بذلك في موضوع كتابته؛ ولذلك كانت كل الأعمال الفكرية محتوية في نفسها على صورة القارئ الذي كتبت له"[14]. وفي هذه الفقرة يوضح سارتر أن الكاتب والأديب إنما يكتب لقارئ ومتلق تجمع بينهما –وهذا هو السبب في إقبال القارئ على قراءة أدب الأديب– قضايا مشتركة؛ إذ إنه لا يجب –أو هكذا يرى سارتر– أن يكتب أو ينتج أدبه لنفسه؛ بحيث يكون هو المنتج لهذا الأدب، وهو الملقي له. ومن خلال الإجابتين السابقتين يمكننا أن نعرف الالتزام –لاسيما عند الشاعر– بأنه وجوب مشاركته –أي: الشاعر أو الأديب– بالفكر والشعور والفن في قضايا الوطنية والإنسانية؛ وفيما يعانون من آلام، وما يبنون من آمال؛ فليس له –مثلًا– أن يستغرق في التأمل في الجمال الخالد والخير المخير المحض في حين أن وطنه يعاني من ذل الاحتلال أو عناء الطغيان، وليس له أن يسترسل في خيالاته ومشاعره الفردية على حين أن وطنه من حوله أو طبقاته الاجتماعية في وطنه تجاهد في سبيل آمال مشتركة[15]. وقد لخصت الناقدة نازك الملائكة موضوع الالتزام في قولها: "إن الأديب في إنتاجه ينبغي ألا يطيع دوافعه الفردية، وإنما يلزم تصوير واقع المجتمع، وعليه أنْ يخرج نفسه ليخدم المجموع"[16]. والحق أن الأدب الملتزم في الأدب العربي سابق على كل محاولات المحدثين، وقد وجدنا قديما الأدب يتجسّد في مشاركة الأديب الناس همومهم الاجتماعيّة والسياسيّة، ومواقفهم الوطنيّة، والوقوف بحزم، لمواجهة ما يتطلّبه ذلك، إلى حدِّ إنكار النّفس في سبيل ما

يلتزم به الأديب شاعراً كان أم ناثرا، واطلاعنا على أدبنا القديم وشعرائه، يعرّفنا أنهم كانوا في العهود والأعصر العربية، في الجاهلية والإسلام كافة، كانوا أصوات جماعاتهم، كذلك قبل كلّ واحد منهم أن يعاني من أجل جماعته التي ينطق باسمها إلى حدٍّ أنّك إذا سمعت صوت أحدهم وهو يرتفع باسم جماعته أو قومه لا يمكنك إلا أن تحسّ هذا الالتزام ينساب عبر الكلمات، يصوّر هذا الإيمان وتلك العقيدة دون أن يساوره أدنى شكّ أو حيرة أو تردّد في تحديده للمشكلات التي يواجهه، والتي تتعلّق بمصيره ومصير سواه من أبناء قومه في القبيلة أو الحزب أو الدين، يدفعه إيمان راسخ بضرورة حلّ إشكالية القضايا التي كان يواجهها في حينه[17].

وذلك ما يلخصه الشاعر الجاهلي بقوله: [من بحر الطويل]

ومَا أنَا إلَّا من غَزِيَّةَ إنْ غوَتْ غويْتُ وإنْ تَرشُدْ غزَيَّةُ أرشُدِ[18]

وهذا كان دور الشاعر العربي الذي يصفه ابن رشيق القيرواني (ت: 463هـ) بقوله: "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم. وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج"[19].

الفصل الثاني

المبحث الأول: دور الشاعر القومي والسياسي في العصر الجاهلي

كان الشاعر في الجاهلية ذا مكانة مقدمة في قومه؛ "لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم"[20].

من هنا كانت تبدو في الشعر الجاهلي الروح الجماعية بوضوح؛ فالشاعر في أغلب الأحيان يتحدث عن قبيلته، في الفخر والهجاء، والوعيد، والإنذار؛ فيجيء الكلام بصيغة الجمع؛ مما يؤكد أن الشاعر كان لسان القبيلة، المعبر عن أحوالها وترجمان أحاسيسها؛ فيفخر بالأحساب والأنساب، ويعدد مناقب الحاضرين والغابرين من الآباء والأجداد، ويسرد انتصاراتهم في الحروب، وأيامهم في الماضي والحاضر. ويفيض في الحديث عن مكانتهم، وقدرتهم، واستعدادتهم، وعاداتهم وكرمهم، وإسرافهم، وتفوقهم في ميادين الفصاحة والبيان والحكمة، والقول الفصل، والرأي السديد[21].

وقد تعددت أدوار الشعراء القومية والسياسية وتعددت –تبعا لذلك– صور التعبير الشعري عن تلك الأدوار لا من حيث هي مواقف خاصة وضع الشاعر في، بل من حيث هي قضايا عامة تعني القبيلة كلها، ومن هذه الأدوار:

1) الزعامة:

كثير من الشعراء في العصر الجاهلي تولى زعامة قومه وأمور الحكم بينهم، وعبر شعره عن القضايا العامة التي تهمهم وتشغل بالهم، ومن هذا مثلا قول عروة بن الورد ينصح قومه في المجاعة، بالخروج للقتال طلبا للطعام [من بحر الطويل]:

قلت لقوم في الكنيف تروحوا عشية بتنا عند ماوان رزح
تنالوا الغنى أو تبلغوا بنفوسكم إلى مستراح من حمام مبرح
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذا أو يصيب رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح
لعلكم أن تصلحو ا بعدما أرى نبات العضاه التائب المتروح[22]

1) القيادة في الحروب:

كان العصر الجاهلي عصر كثير الحروب، وقد كان لبعض الشعراء فيه موقع القيادة العسكرية، ما ألقى بظلاله على موضوعاتهم الشعرية فجاءت للتحدث عن تلك الحروب بوصفها حدثا يشغل الناس، لا بوصفها موقفا قياديا وقع فيه الشاعر، من ذلك قول عمرو بن كلثوم: [من بحر الوافر]

وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يحمي المحجرينا
تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتها صفونا
وأنزلنا البيوت بذي طلوح إلى الشامات تنفي الموعدينا
وقد هرت كلاب الحي منا وشذبنا قتادة من يلينا
متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا[23]

2) السفارة:

وذلك عند حدوث نزاع بين قبيلتين يتطلب تدخل أحد الملوك لفضه، فكان يقوم الشاعر بتمثيل قومه، والحديث بلسانهم، ومن ذلك قول الحارث بن حلزة لعمرو بن هند: [من بحر الخفيف]

وأتانا من الحوادث والأنبا ء خطب نعنى به ونساء
إن إخواننا الأراقم يغلو ن عينا في قيلهم إخفاء
يخلطون البريء منا بذي الذنب ولا ينفع الخلي الخلاء
زعموا أن كل من ضرب العي ر موال لنا وأنا الولاء
أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء[24]

المبحث الثاني: أثر طبيعة الحياة الجاهلية على الشعراء في ذلك العصر

يمتد موطن العرب في جاهليتهم على رقعة من الأرض واسعة ذات بقاع متباينة، تختلف بيئاتها الطبيعية اختلافاً يكاد يجعل منها مواطن متعددة وإن كانت، مع ذلك، وطناً واحدًا

متماسكاً. فما بين البحر الهندي في أقصى الجنوب إلى ما بعد دمشق في أقصى الشمال، وما بين بحر العرب ونهري دجلة والفرات في الشرق إلى البحر الأحمر بل إلى نهر النيل في الغرب كانت تسيح هذه الأمة العريقة: في الأغوار والأنجاد، وفي السهول وفوق قنن الجبال، وفي أجواف الصحاري وعلى سواحل البحار[25]، و "من دراسة الشعر الجاهلي، يتبين أنه حافل بالحديث عن أحوالهم وعاداتهم وأخلاقهم. ولذلك جاء القول المأثور: "الشعر ديوان العرب"، والحق أنه سجل خالد لهؤلاء القوم، تتجلى فيه بوضوح مظاهر الحياة، والبيئة في ذلك العصر"[26].

ويمكن أن نناقش طبيعة حياة العرب الجاهلية من خلال ثلاثة محاور رئيسة، وهي:

1) الحياة الاجتماعية. 2)الحياة السياسية. 3)الحياة الاقتصادية.

أولا: الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي:

كان للبيئة والظروف التي أحاطت بالقبائل العربية قبل الإسلام أثر كبير في حالتهم الاجتماعية، فالنظام القبلي، وعدم وجود حكومة مركزية، وجدب الصحراء وضيق الأفق كان لها دخل كبير في وجود كثير من الصفات والعادات عند العرب الجاهليين.

فحب الفرد لقبيلته وتفانيه في إخلاصه لها، والعمل على رفع شأنها، وإعلاء كلمتها، وتعصبه لها وحدها، كل ذلك جعله يتجاهل غيرها، ولا يعترف بحق الحياة أو الملكية أو المتعة لأحد من سواها، كأنما لم يخلق في الوجود غيره وغير قبيلته، فدفعه هذا الاعتقاد إلى الاعتداء على حقوق الآخرين، ما دام يملك القوة أو الفرصة المواتية، فكانت الغارات والحروب التي ينجم عنها إزهاق الأرواح، ونهب الأموال وأسر الرجال، وسبي النساء[27].وقد كانت القبيلة في العصر الجاهلي تتألف من ثلاث طبقات: أبناؤها: وهم الذين يربط بينهم الدم والنسب وهم عمادها وقوامها، والعبيد: وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة، والموالي: وهم عتقاؤها، ويدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم عنها؛ لكثرة جرائرهم وجناياتهم. وكانوا يعلنون هذا الخلع على رءوس الأشهاد في أسواقهم ومجامعهم، وقد يستجير الخليع بقبيلة أخرى فتجيره، وبذلك يصبح له حق التوطن في القبيلة الجديدة، كما يصبح من واجبه الوفاء بجميع حقوقها مثله مثل أبنائها[28]، وكان أساس الاجتماع عند العرب هو الأسرة التي يكونها الرجل منهم بالزواج والتناسل ولا يزال يقوم عليها، ويعنى بكل حاجياتها حتى تشتد سواعد أبنائها، ويصبحوا قادرين على الكسب، فيقوم فيهم الوالد يرشدهم بما كسبه من التجارب ويدلهم على طرق الخير بما أفاءت عليه الظروف من حكمة وعقل، ويفصل بينهم في المنازعات المختلفة التي قد تقوم بينهم، فلا يتركهم يتفرقون حتى لا يطمع فيهم طامع، إذ هم مصدر عزته وجاهه[29]، ويظهر من دراسة كل ما ورد في كتب أهل الأخبار وفي كتب التفسير والحديث عن الزواج والطلاق عند الجاهليين أن أهل الجاهلية لم يكونوا يسيرون على سنّة واحدة في عرف

الزواج والطلاق، ولكن كانوا يسيرون على أعراف مختلفة اختلفت باختلاف الأماكن وباختلاف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية واتصالها بالخارج. وقد وردت إلينا مسميات بعض تلك الأنواع، مثل "الخدن" و "المتعة" و "البدل" و "الشغار" و "البعولة" وزواج ذوات الرايات وغير ذلك مما ورد وصفه وشرحه، ولكنه لم ينعت باسم معين[30]، وقد شاهد هذا العصر كثيرا من السلبيات والمشكلات الاجتماعية، مثل المرأة من الميراث، ونهب حقوقها، مثل ما حدث مع أم طرفة بن العبد حين حرمها أعمامه من ميراث زوجها؛ فقال فيهم: [من بحر الكامل]

ما تَنظُرونَ بِحَقّ وَردَةَ فيكُمُ صغر البنون ورهط وردة غيب
قد يبعث الأمر العظيم صغيره حتى تَظَلّ له الدّماءُ تَصَبَّبُ
والظُّلْمُ فَرّقَ بينَ حَبّيْ وَائلٍ بَكْرٌ تُساقيها المَنايا تَغْلِبُ[31]

ومن المشكلات الاجتماعية أيضًا في العصر الجاهلي، والتي ألقت بظلالها على شعر الشعراء في ذلك العصر اضطهاد طائفة العبيد، وعدّهم مواطنين من الدرجة الثالثة، لا يمكن أن تكون لهم ميزة من الميزات التي تتوافر في الأحرار؛ يقول سحيم عبد بني الحساس ناعيا سواده وعبوديته: [من بحر الطويل]

فلو كنت وردا لونه لعشقتني ولكن ربي شاءني بسواديا[32]

ثانيًا: الحياة السياسية في العصر الجاهلي:

انقسم العرب على قسمين: بدو وحضر، والفكر السياسي عند البدو يختلف عنه عند الحضر؛ فالبدو عاشوا كقبائل صغيرة متفرقة في الصحاري، ووحدة القبيلة تربط بينها الدم والعصبية. ولم يكن سهلاً قيام ارتباط بين عدد من القبائل لتكوين ممالك، لطبيعة التمرد وعدم الخضوع عند البدو[33]، وأساس النظام القبلي هو العصبية، العصبية للأهل والعشيرة وسائر متفرعات الشعب أو الجذم أو القبيلة أو العشيرة، ومن شروطها أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين، وليس له أن يتساءل: أهو ظالم أم مظلوم؟ وهي ضرورية للقبائل؛ لأنها لا تستطيع أن تدافع عن نفسها إلا إذا كانت ذات عصبية ونسب، وبذلك تشتد شوكتها، ويخشى جانبها، كما أنه لا يمكن وقوع العدوان على أحد مع وجود العصبية[34]، وفي هذا يقول الشاعر: [من بحر البسيط]

قوم إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زُرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

ويقترن بالعصبية القبلية عادة الثأر، إذ تقضي تقاليد البادية أن يطالب أهل المقتول بقاتله ليقتلوه به، وهو الأمر المعروف باسم "القَوَد" إلا إذا رضوا بدية القتيل. والدية تختلف باختلاف مركز القتيل من الناحية الاجتماعية، فالدية الواجبة عن الملوك والزعماء تختلف عن دية الأفراد والصعاليك، ودية الصريح ضعف دية الحليف[35]؛ يقول تأبط شرًّا: [من بحر المديد]

إن بالشـــعب الـــذي دون ســـلع لقتـــيلا دمـــه مـــا يطـــل
خلـــف العـــبء علـــي وولـــى أنا بالعـــبء لـــه مســـتقل
ووراء الثأر منـــي ابـــن أخـــت مصع عقدته مـــا تحـــل[36]

ثانيًا: الحياة الاقتصادية في العصر الجاهلي:

للوقوف على أسس اقتصاد أمة من الأمم، لا بد من الوقوف على طبيعة إقليمها من جو وأرض، فللطبيعة أثر كبير في تحديد خيرات تلك الأمة وفي تكوين سماتها وعاداتها وإنتاجها: من ناتج زراعي أو حيواني أو صناعي، ثم في فقرها وغناها.

وإذا نظرنا إلى جزيرة العرب في الجاهلية نجد أنها تبلغ مساحتها حوالي مليون وربع مليون ميل من الأميال المربعة، والملاحظ في هذه المساحة أن مواضع المياه فيها قليلة، لا يتناسب توزيعها ووجودها مع هذه المساحة الشاسعة، ثم إنها مياه ضيقة المعين، لا يتسع صدرها لإرواء بقاع واسعة على نحو ما نجده في مياه الأنهار الكبيرة إذا قسنا مساحة الأرضين الخصبة منها القابلة للزرع والإنبات ذات الماء بالأرضين المجدبة، نجد أنها قلة إلى كثرة، وإن ما لا يصلح منها للزرع أكثر بكثير مما يصلح له[37]. وبناء على تلك الظروف فقد كانت قبائل العرب المتناثرة في الصحراء تعيش في أرض يكثر فيها الجدب والقحط، وليس فيها من زرع إلا ما ينبت من الشعب غب المطر، فاعتمد أهلها على ما في هذه الصحراء من حيوان، مستأنسًا كان أم متوحشًا، وكان أهم هذه الحيوانات المستأنسة الإبل والخيل والغنم والمعز، فكانوا يتحذون من الإبل والغنم موارد رزقهم. ووسائل حياتهم، يأكلون لحمها ويشربون لبنها، ويتخذون من أصوافها وأوبارها وأشعارها لباسًا يقيهم الحر والبرد[38].

والمجتمع البدوي من ناحيته الاقتصادية كان بسيط التكوين؛ يتكون من طبقتين اقتصاديتين أساسيتين: طبقة أصحاب الإبل، أو "أرباب المخائض" كما يسميهم بعض الشعراء، وطبقة الصعاليك، أو الفقراء[39].

وكذلك الحياة الاقتصادية بظلالها على الشعر الجاهلي، فتحدثوا في شعرهم عن الجدب وقلة الطعام؛ يقول الحطيئة: [من بحر الطويل]

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما
أخي جفوة فيه من الإنس وحشة يرى البؤس فيها من شراسته نعمى
تفرد في شعب عجوز إزاءها ثلاثة أشباح تخالهم بهما
حفاة عراة ما اغتذوا خبز ملة ولا علفوا للبر مذ خلقوا طعما[40]

وقال الشنفرى الأزدي: [من بحر الطويل]

وأم عيال قد شهدت تقوتهم إذا أطعمنهم أوتحت وأقلت
نخاف علينا العيل إن هي أكثرت ونحن جياع أي آل تألت

وما إن بها ضن بما في وعائها ولكنها من خيفة الجوع أبقت[41]

المبحث الثالث: الالتزام الأدبي في العصر الجاهلي ومظاهره

كان الشعر في الجاهلية هو ديوان العرب؛ فهو مستودع أنسابهم وتواريخهم وأيّامهم ووقائعهم، ولا يعرف هذا إلا من شعرهم[42].

ومن ثم نجد الحديث عن القضايا التي تشغل بال الجماعة وتتعلق بهم أكثر من الأحاديث الفردية، التي تعبر عن مواقف شخصية تتعلق بالشاعر دون غيره، أي إن روح الجماعة إنما ظهرت في الشعر نتيجة لوظيفته في ذلك العصر،وقد ظهرت آثار ذلك الالتزام ومظاهره في شعر العصر الجاهلي حتى في الأشعار التي تتحدث عن مواقف شخصية؛ فذلك طرفة بن العبد لمال أراد أن يذكر قومه بعاقبة الظلم، وأن يردعهم عن ظلم أمه ونهب ميراثها ذكرهم –وهم بنو بكر– بتلك الحرب الدامية التي قامت نتيجة الظلم، والذي تأججت نارها بينهم وبين قبيلة تغلب[43] فقال: [من بحر الكامل]

والظُّلْمُ فَرّقَ بينَ حَبّيْ وَائِل ملحا يخالط بالذعافِ، ويُقشَبُ
قد يورد الظلم المبين آجنا يُعدي كما يُعدي الصّحيحَ الأجْرَبُ[44]

ومن هذا المظاهر أيضا كثرة الفخر الجماعي في الجاهلية، والإشادة بمحاسن القبيلة وتعداد مفاخرها؛ يقول لبيد بن ربيعة في الفخر بقومه: [من بحر الرجز]

نَحْنُ بَنُو أُمِّ البَنِينَ الأرْبَعَه نَحْنُ خَيرُ عامِرِ بنِ صَعْصَعَه
المُطْعِمونَ الجَفْنَةَ المُدَعْدَعَهْ والضَّارِبونَ الهَامَ تحتَ الخَيْضَعَه[45]

الفصل الثاني

المبحث الأول: حياة زهير بن أبي سلمى وأثرها في التزامه

نسبه:

هو زُهَيْر بن أَبى سلمى، وَاسم أَبى سلمى ربيعَة بن ريَاح بْن قرط بن الْحَارِث بن مَازِن بن ثَعْلَبَة بن ثَوْر بن هذمة بن لاطم بن عُثْمَان بْن مزينة، كذا تذكر كتب التراجم اسمه[46]، وعليه فإن نسبه يعود إلى قبيلة مزينة، وهذا صريح قول ابنه كعب: [من بحر الطويل]

هم الأصل منّي حيث كنت وإنّني من المزنيين المصفّين بالكرم[47]

وقد ذهب ابن قتيبة أن نسبه إنما يعود إلى غطفان؛ حيث كان مقيما مع أخواله[48].

نشأته:

نشأ زهير بن أبي سلمى –كما توضح كتب التراجم– بين أخواله في قبيلة غطفان، وكان خاله بشامة بن الغدير وهو عمرو بن هلال بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد الغطفاني هو من تولى تربيته وتنشئته، وكان شاعراً متقدماً وهو خال زهير بن أبي سلمى ومن قبل بشامة أتاه التجويد في الشعر[49].

روايته للشعر:

تعد رواية الشعر وتناقله إحدى أهم الأسباب التي تسهم في صناعة الشاعر وتنمية ثقافته الأدبية[50]، وكما سبقت الإشارة فإن زهيرا روى –أول ما روى– أشعار خاله بشامة بن الغدير، وعليها نمت موهبته الشعرية، كما كان زهير راوية أوس بن حجر بن عتّاب، وقد كان أوس فحل مضر حتّى نشأ النابغة وزهير فأخملاه[51].

زهير وطائفة عبيد الشعر:

كان زهير بن أبي سلمى ينتمي إلى طائفة شعرية عرفت باسم طائفة (عبيد الشعر)، تلك الطائفة التي اهتمت بتنقيح شعرها ومراجعته، يقول الأصمعي (ت: 216هـ): "زهير والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر؛ لأنهم نقَّحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين"[52].

وعبيد الشعر فئة من كبار الفحول في الجاهلية احترفت نظم القريض واتخذت من قول الشعر مهنة ووظيفة؛ فوقفت عليه وقتها تراجعه وتدققه، وكرست له جهدها تنقحه وتثقفه، حتى أن القصيدة الواحدة كانت ربما تمكث عند صاحبها حولا كاملا يهذب فيها وينقح قبل إلقائها[53].

يقول الجاحظ (ت: 255هـ) عن تلك الطائفة: "ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا، وزمنًا طويلا، يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه، اتهاما لعقله، وتتبعا على نفسه، فيجعل عقله، زماما على رأيه، ورأيه عيارا على شعره، إشفاقا على أدبه، وإحرازا لما خوله الله تعالى من نعمته. وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليات، والمقلّدات، والمنقّحات، والمحكّمات، ليصير قائلها فحلا خنذيذا، وشاعرا مفلقا"[54].ولعل ما يعني قضية الالتزام في شعر زهير وعلاقتها بتلك الطائفة التي عرفت بـــ(عبيد الشعر) في العصر الجاهلي أن شعراء تلك الطائفة كانوا "كأنهم يلغون حريتهم وإرادتهم؛ فهم عبيد في الشعر، يخضعون لإرادته الفنية وما يطوى في هذه الإرادة"[55].كما أن تلك القصيدة التي تكتب في حول كامل لا تسمح لصاحبها أن يتكلم في موضوعاته الخاصة، ومن هنا نشأ في الشعر القديم طائفتان: إحداهما تسمى أصحاب الطبع، والأخرى هي طائفة المتكلفين، بل إن ظاهرة التكلف في الشعر القديم إذا أردنا أن نجعلها على درجات نجدها تبلغ "أعلاها عند زهير وأصحابه الذين كانوا يعملون شعرهم عملًا، ويأخذونه بالتفكير الدقيق، والبحث والتحقيق"[56].

حرب داحس والغبراء:

تعد حرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان –أكبر حدث سياسي شهده زهير بن أبي سلمى في حياته، وألقى بظلاله على شعره وعلى شعر غيره من الشعراء الذين عاصروا هذا الحدث الجلل، ومختصر ما تحكيه كتب التاريخ عن هذا الحدث هو: أن قيس بن زهير بن جذيمة العبسيّ، وحذيفة بن بدر الذّبيانى كانا قد تراهنا على خطر عشرين بعيرا، أيهما سبقت خيله أخذها من صاحبه، وجعلا الغاية مائة غلوة، والمضمار أربعين ليلة، فأجرى قيس داحسًا

والغبراء، وأجرى حذيفة قرزلا، ويقال: الخطّار والحنفاء، فوضعت بنو فزارة رهط حذيفة كمينا على الطريق، فردّوا الغبراء ولطموها وكانت سابقة، فغضب قيس بن زهير، وأغار على رهط حذيفة، فلقي عوف بن بدر أخا حذيفة فقتله، واشتعلت على ذلك حرب استمرت قرابة ستين سنة إلى أن وقعت القبيلتان صلحا بينهما، وتحمل سيدان من كبار سادة الجاهلية دية القتلى من الجانبين، وهما هرم بن سنان والحارث بن عوف[57]،وقد تحدث زهير بن أبي سلمى في شعره كثيرا عن حرب داحس والغبراء وأشاد بالسدين الهرم بن سنان والحارث بن عوف اللذين تحملا دية القتلى من الجانبين، وأصلحا بين القبيلتين، وحقنا دماءهما[58]، ومن ذلك قوله يمدح السيدين: [من بحر الطويل]

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم
لعمري لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم[59]

المبحث الثاني: الالتزام في شعر زهير بن أبي سلمى

يمكن أن نجمل محاور الالتزام في شعر زهير بن أبي سلمى في محورين أساسيين:

المحور الأول – قضية الحرب:

تعد حرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان أكبر حدث سياسي وعسكري شهده زهير بن أبي سلمى في حياته، وألقى بظلاله على شعره وعلى شعر غيره من الشعراء الذين عاصروا هذا الحدث الجلل، وقد تحدث زهير بن أبي سلمى في شعره كثيرا عن حرب داحس والغبراء وأشاد بالسيدين الهرم بن سنان والحارث بن عوف اللذين تحملا دية القتلى من الجانبين، وأصلحا بين القبيلتين، وحقنا دماءهما[60]، ومن ذلك قوله يمدح السيدين: [من بحر الطويل]

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم
لعمري لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم[61]

وقال أيضا في مدح الهرم بن سنان: [من بحر البسيط]

قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقا
القائد الخيل منكوبا دوابرها قد أحكمت حكمات الجد والأبقا
غزت سمانا فآبت ضمرا خدجا من بعد ما جنبوها بدنا عققا
حتى يئوب بها شعثا معطلة تشكو الدوابر والأنساء والصفقا
يطلب شأو امرأين قدما حسنا نالا الملوك وبذا هذه السوقا
هو الجواد فإن يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثله لحقا[62]

لقد كانت حرب داحس والغبراء وما خلفته من آثار دموية ونفسية محور اهتمام زهير بن أبي سلمى في كثير من أشعاره؛ فهو يقول: [من بحر الطويل]

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذ ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم
فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر ثم ترضع فتفطم
فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم(63)

وإذا حاولنا أن نبحث عن خصائص ومميزات آراء زهير في دعوته إلى السلم نجد الحكمة والتعقل والاعتماد على الحجج التي تؤيد تلك الآراء من أهم هذه المميزات، حتى سمي بالشاعر الحكيم، ولا غرو فقد خبر الحياة ورأى ما فيها من متناقضات : من خير وشر، حرب وسلم، حب وبغض، عدالة وظلم.

من أجل هذا كان تحذير زهير بن أبي سلمى من الحرب وما تنتجه من آثار قائما على الحجج المنطقية، وقائما على الخبرة بطبائع النفوس، وتغيرات الزمن والحياة؛ فقد حذر زهير من إخفاء الشر، والنية في نقض العهد قائلا:

لَعَمْري لَنِعْمَ الحيُّ جَرَّ عَلَيْهِمُ بما لا يُؤاتِيهِمْ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ
وكانَ طَوَى كَشحاً على مُسْتَكِنَّةٍ فَلاَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَجَمْجَمِ
وَقَالَ: سَأَقْضِي حَاجَتي ثُمَّ أَتَّقِي عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرائِيَ مُلْجَمِ
فَشَدَّ وَلَمْ يَنْظُرْ بُيُوتاً كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ

وتحذير زهير هذا قائم على حكمة يعلمها من شأن الأيام والأحداث أراد أن ينقلها إلى قومه ليستفيدا بها، ويطبقوها في حياتهم، وهذه الحكمة هي:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امرِىءٍ مِنْ خَلِيْقَةٍ وإنْ خَالَها تَخْفَى على النَّاسِ تُعلَم

المحور الثاني – الفخر الجماعي:

الفخر هو التغني بالأمجاد، ويكون عادة بادعاء أشياء للنفس أو للقبيلة ليست في متناول الجميع بيسر وسهولة، وهو في الشعر الجاهلي نوعان: شخصي وقبلي وكان الفخر عند الجاهليين يقوم عادة على التغني بالبطولة والشهامة، وكثرة الحروب، وشن الغارات، والنصر والغلبة، والقوة، والبأس، والعدد، والخيل، والإبل، والسلاح، وإثارة الفزع في نفوس الأعداء، ومنازلة الملوك والرؤساء، وكثرة الغنائم، والأسرى والسبايا، كما كانوا يتباهون بالأصل والنسب والحسب والآباء والأجداد، وما كان لهم من مفاخر وأمجاد، وبأصالة الرأي، وسداد القول، وبعد النظر، وكمال العقل، والوقار والرزانة والحلم والأناة، والمروءة، والوفاء، وبالمحبة والصفاء بين العشيرة، وسد حاجة المحتاج منهم، وتحمل الغني أعباء القبيلة، ورعاية للفقراء منها،

والصفح فيما بينهم عن هفوات بعضهم، وعدم التفاخر فيما بينهم، وتضامنهم، وعظم المجالس، واحترامهم، وبعدهم عن الفحش، والصغار[64].

وقد كان الفخر الجماعي هو الغالب على شعر زهير بن أبي سلمي، فلم يكن زهير غافلا عن القوم الذي نشأ في بني غطفان أخواله؛ فتحدث في شعره عن قضاياهم، ومهمات أمورهم؛ من ذلك قوله يهجو بني سليم حين أغاروا على غطفان: [من بحر الطويل]

رأيت بني آل امرئ القيس أصفقوا عليا وقالوا إننا نحن أكثر
سليم بن منصور وأفناء عامر وسعد بن بكر والنسور وأعصر
خذوا حظكم يا آل عكرم واذروا أواصرنا والرحم بالغيب تذكر
وإنا وإياكم إلى ما نسومكم لمثلان أو أنتم إلى الصلح أفقر
إذا ما سمعنا صارخا معجت بنا إلى صوته ورق المراكل ضمر
وإن شل ريعان الجميع مخافة نقول جهارا ويحكم لا تنفروا
على رسلكم إنا سنعدي وراءكم فتمنعكم أرماحنا أو ستعذر[65]

كما لم ينس زهير أصله المزني، ومدح قبيلته مزينة فقال:

هم الأصل منّي حيث كنت وإنّني من المزنيين المصفّين بالكرم[66]

المبحث الثالث: زهير ابن أبي سلمى بعيدا عن دائرة الالتزام

زهير بن أبي سلمى كأي شاعر؛ عواطفه هي الأصل في كل شعره[67]، لذا فإنه رغم اهتمامه بالقضايا العامة، ومشاركة قبيلته في همومها نجده قد تكلم عن مشاعره الشخصية، وأهم تلك المشاعر حبه لزوجته أم أوفى، تلك المرأة التي ابتدأ بذكرها معلقته، وقال فيها" [من بحر الطويل]

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانـــة الـدراج فالمتثلـــم
ودار لها بالقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم[68]

وأثر من ذكرها في شعرها واصفا حبه لها، ودورها في حياته، من ذلك قوله: [من بحر الوافر]

لعمرك والخطوب مغيرات وفي طول المعاشة التقالي
لقد باليت مظعن أم أوفى ولكن أم أوفى لا تبالي
فأما إذ نأيت فلا تقولي لذي صهر أذلت ولم تذالي[69]

كما نجد في شعر زهير أيضا بعض الذكر لأموره الأسرية، من ذلك قوله لزوجته أم ابنه كعب: [من بحر الوافر]

وقالت أم كعب لا تزرنا فلا والله ما لك من مزار
رأيتك عبتني وصددت عني فكيف عليك صبري واصطباري
فلم أفسد بنيك ولم أقرب إليك من الملمات الكبار
أقيمي أم كعب واستقري فإنك ما نزلت بخير دار

الخاتمة

وقد خرج الدراسة ببعض النتائج والتوصيات نذكرها كالتالي:

أولا – النتائج:

1) الأدب الملتزم وإن كانت مصطلحا حديثا إلا أن مفهومه عميق الجذور في تاريخ أدبنا العربي.
2) ظروف البيئة الجاهلية مكنت للأدب الملتزم في أوسط الشعراء، وجعلت له رواجا بين المتلقين.
3) الشاعر فرد من أفراد المجتمع يتأثر به ويؤثر فيه، وما ينبغي له أن يعيش في برج معتزل عن واقعه وقضايا مجتمعه.

ثانيا – التوصيات:

1) محاولة عرض الأدب القديم –والجاهلي منه بخاصة– على المناهج والمصطلحات النقدية الحديثة.
2) محاولة البحث في الروافد المجتمعية للأدب الجاهلي والتي كان لها أبرز الأثر على نتاج الشعراء.
3) تدريب ناشئة الشعراء على الاهتمام بقضايا مجتمعهم وأمتهم وظهور أثرها في أشعارهم.

الهوامش:

(1) طوائف الشعراء في العصر الجاهلي، جودة أمين، دار الهاني للطباعة والنشر – السعودية، ط1، 1427هـ/ 2006م، (ص7).

(2) عمود الشعر في اصطلاح النقاد القدماء يعني: التقاليد الموروثة في استخدام اللفظ والمعنى والخيال والصور والوزن والقافية، ومنهج القصيدة عند الشعراء الجاهليين والإسلاميين في القصيدة العربية، حتى صارت هذه التقاليد الفنية الموروثة عرفًا متبعًا، ومنهجًا متوارثًا لا يحيد عنه الشاعر.

(3) ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، ط4، (1/ 18)، (د.ت).

(4) ينظر: شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ – إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003/ 1424هـ، (1/ 8، 9).

(5) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي – مصر، (1/ 4)، (د.ت).

(6) "أساس البنيوية أن موضوع الأدب هو الأدب ذاته، ومن ثَمَّ يتحول الأدب مثلما تتحول عملية القراءة, فيصبح الكل مجموعة من الموضوعات يحاور النص ذاته"، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا، عفيف عبد الرحمن، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، 1987م، (ص203).

(7) ينظر: الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا، (ص166).

(8) ينظر: ما الأدب، جان بول سارتر، ترجمة: محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر.

(9) ينظر: طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني – جدة، (1/ 51)، (د.ت).

(10) ينظر: تطور الفكر التربوي، لأحمد وسعد مرسي، عالم الكتب – القاهرة، 1986م، ط10، (ص96).

(11) ينظر: الالتزام في الأدب، د. رشيد بن حويل البيضاني، مقال في مجلة عكاظ، العدد (2223)، بتاريخ: 19/ 7/ 2007.

(12) ما الأدب، جان بول ساتر، ترجمة: الدكتور محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة، (ص49)، (د. ت).

(13) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، مكتبة الدراسات الفلسفية، ط5، (ص457)، (د.ت).

(14) ما الأدب، جان بول ساتر، (ص69).

(15) ينظر: النقد الأدبي الحديث، الدكتور محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة، 1997م، (ص456)، (د.ط).

(16) أغلاط شائعة في الأدب القومي، نازك الملائكة، مجلة الأداب (البيروتية)، العدد (٨)، السنة:١٩٦١م، (ص 10، 11).

(17) ينظر: نزعة الالتزام في القصيدة العربية في العصر الأموي، د. جاسم حسين سلطان الخالدي، مجلة الفتح، العدد (35)، السنة: 2008م، (ص6).

(18) البيت لدريد بن الصمة كما في الأصمعيات، أبو سعيد الأصمعي، تحقيق: احمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – مصر، ط7، 1993م، (ص107)، وأمالي اليزيدي، مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن – الهند، ط1، 1397هـ/ 1938م، (ص35)، والعقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية – بيروت، بيروت، ط1، 1404هـ، (6/ 33)، من قصيدة مطلعها:

أعاذِلَ إنَّ الْرزءَ فِي مثلِ خالدِ وَلَا رُزءَ فيمَا أَهلكَ المرءُ عَنْ يدِ

(19) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل – بيروت، لبنان، ط5، 1401هـ/1981م، (1/ 65).

(20) البيان والتبيين، (1/ 203).

(21) في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، دار التراث – مصر، 1412هـ/ 1991م، (ص452).

(22) ديوان عروة بن الورد بشرح ابن السكيت، تحقيق: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي – بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/ 1994م، (ص26، 27).

(23) ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، – بيروت، ط1، 1411هـ/ 1991م، (ص72).

(24) ديوان الحارث بن حلزة، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1، 1411هـ/ 1991م، (ص23، 24).

(25) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين الأسد، دار المعارف – مصر، ط17، 1988م، (ص1، 2).

(26) في تاريخ الأدب الجاهلي، (ص444).
(27) ينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي، (ص67).
(28) ينظر: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، (ص67).
(29) ينظر: قصة الأدب في الحجاز، عبد الله عبد الجبار – محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، (ص165)، (د.ت).
(30) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار الساقي، ط4، 1422هـ/ 2001م، (8/ 220).
(31) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط3، 1423هـ/ 2002م، (ص12).
(32) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس بشرح نفطويه، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار الكتب والوثائق القومية – مصر، ط3، 1420هـ/ 2009م، (ص26).
(33) ينظر: موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام، أحمد معمور العسيري، ط1، 1417هـ/ 1996م، (ص41).
(34) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (7/ 392).
(35) ينظر: تاريخ العرب القديم، توفيق برو، دار الفكر، ط2، 1422هـ/ 2001م، (ص253).
(36) ديوان تأبط شرا، تحقيق: طلال حرب، دار صادر – بيروت، ط1، 1996م، (ص63).
(37) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ص5، 6).
(38) ينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي، (ص58).
(39) ينظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، يوسف خليف، دار المعارف – مصر، ط4، (ص145).
(40) ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/ 1993م، (ص178).
(41) ديوان الشنفرى الأزدي، تحقيق: طلال حرب، دار صادر – بيروت، ط2، 2010م، (ص37).
(42) ينظر: الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – صيدا، بيروت، 1419هـ، (ص138).
(43) الحرب التي كانت بين بكر وتغلب عرفت في التاريخ باسم (حرب البسوس) وسببها أن رجلا من العرب نزل ضيفا عند خالة جساس بن مرة البكري، وكان اسمها البسوس بنت منقذ التميمية، وكان لهذا الرجل ناقة اسمها سراب، فوجدها كليب بن ربيعة التغلبي ترعى في حماه، فضر بها بالنشاب وأخرم ضرعها، وجاءت الناقة إلى صاحبها مجروحة، فصرخ بالذل، فلما سمعته البسوس وضعت يدها على رأسها وصاحت: واذلاه!!! فاستنصر جساس لخالته، وقصد كليبا وهو منفرد في حماه، فضربه بالرمح فقتله، ينظر: المختصر في أخبار البشر، ابن شاهنشاه، ط1، المطبعة الحسينية – مصر، (1/ 77)، الكامل في التاريخ، (1/ 473).
(44) ديوان طرفة بن العبد، (ص12).
(45) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حمدو طمّاس، دار المعرفة – بيروت، ط1، 1425هـ/ 2004م، (ص59).
(46) ينظر: طبقات فحول الشعراء، (1/ 51).

(47) ينظر: ديوان كعب بن زهير بن أبي سلمى بشرح السكري، دار الكتب والوثائق القومية – مصر، ط4، 1431هـ/ 2010م، (ص67).
(48) ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، دار الحديث – القاهرة، 1423هـ، (1/ 137).
(49) ينظر: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، أبو بشر الآمدي، تحقيق: ف. كرنكو، دار الجيل – بيروت، ط1، 1411هـ/ 1991م، (ص213).
(50) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، (ص23).
(51) ينظر: الشعر والشعراء، (1/ 198).
(52) ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال – بيروت، لبنان، 1423هـ، (2/ 10)، (د.ط).
(53) ينظر: طوائف الشعراء، (ص31).
(54) البيان والتبيين، (2 / 8).
(55) ينظر: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، (ص327)، (د.ت).
(56) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط12، (ص21)، (د.ت).
(57) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي – بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، 1997م، (1/ 509)، البداية والنهاية، أبو الفداء ابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – مصر، ط1، 1418هـ/ 1997م، (4/ 387).
(58) ينظر: طوائف الشعراء، (ص72).
(59) ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار الوثائق القومية – جمهورية مصر العربية، ط3، 1431هـ/ 2010م، (ص14، 15).
(60) ينظر: طوائف الشعراء، (ص72).
(61) ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، (ص14، 15).
(62) ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، (ص 49).
(63) ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، (ص 18).
(64) ينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي، (ص264).
(65) ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، (ص213).
(66) ينظر: ديوان كعب بن زهير بن أبي سلمى بشرح السكري، دار الكتب والوثائق القومية – مصر، ط4، 1431هـ/ 2010م، (ص67).
(67) ينظر: حصاد الهشيم، إبراهيم عبد القادر المازني، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر – مصر، ط1، 2010م، (ص53).
(68) ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، (ص4).
(69) ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، (ص342).

قائمة المصادر والمراجع

1) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا، عفيف عبد الرحمن، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، 1987م.

2) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1414هـ/ 1993م.
3) الأصمعيات، أبو سعيد الأصمعي، تحقيق: احمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – مصر، ط7، 1993م.
4) الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
5) أغلاط شائعة في الأدب القومي، نازك الملائكة، مجلة الأداب (البيروتية)، العدد (٨)، السنة:١٩٦١م.
6) الالتزام في الأدب، د. رشيد بن حويل البيضاني، مقال في مجلة عكاظ، العدد (2223)، بتاريخ: 19/ 7/ 2007م.
7) أمالي اليزيدي، مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن – الهند، ط1، 1397هـ/ 1938م.
8) البداية والنهاية، أبو الفداء ابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – مصر، ط1، 1418هـ/ 1997م.
9) البيان والتبيين، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال – بيروت، لبنان، 1423هـ، (د.ط).
10)تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، (د.ت).
11)تاريخ العرب القديم، توفيق برو، دار الفكر، ط2، 1422هـ/ 2001م.
12)تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، مكتبة الدراسات الفلسفية، ط5، (د.ت).
13)تطور الفكر التربوي، لأحمد وسعد مرسي، عالم الكتب – القاهرة، 1986م، ط10.
14)حصاد الهشيم، إبراهيم عبد القادر المازني، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر – مصر، ط1، 2010م.
15)ديوان الحارث بن حلزة، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1، 1411هـ/ 1991م.
16)ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/ 1993م.
17)ديوان الشنفرى الأزدي، تحقيق: طلال حرب، دار صادر – بيروت، ط2، 2010م.
18)ديوان تأبط شرا، تحقيق: طلال حرب، دار صادر – بيروت، ط1، 1996م.
19)ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار الوثائق القومية – جمهورية مصر العربية، ط3، 1431هـ/ 2010م.
20)ديوان سحيم عبد بني الحسحاس بشرح نفطويه، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار الكتب والوثائق القومية – مصر، ط3، 1420هـ/ 2009م.
21)ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط3، 1423هـ/ 2002م.
22)ديوان عروة بن الورد بشرح ابن السكيت، تحقيق: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي – بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/ 1994م.

23)ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، – بيروت، ط1، 1411هـ/ 1991م.
24)ديوان كعب بن زهير بن أبي سلمى بشرح السكري، دار الكتب والوثائق القومية – مصر، ط4، 1431هـ/ 2010م.
25)ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حمدو طمّاس، دار المعرفة – بيروت، ط1، 1425هـ/ 2004م.
26)شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ – إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003/ 1424هـ.
27)الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، دار الحديث – القاهرة، 1423هـ.
28)الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، يوسف خليف، دار المعارف – مصر، ط4.
29)الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – صيدا، بيروت، 1419هـ.
30)طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني – جدة، (د.ت).
31)طوائف الشعراء في العصر الجاهلي، جودة أمين، دار الهاني للطباعة والنشر – السعودية، ط1، 1427هـ/ 2006م.
32)العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية – بيروت، بيروت، ط1، 1404هـ.
33)العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل – بيروت، لبنان، ط5، 1401هـ/ 1981م.
34)الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط12، (د.ت).
35)في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، دار التراث – مصر، 1412هـ/ 1991م.
36)قصة الأدب في الحجاز، عبد الله عبد الجبار – محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، (د.ت).
37)الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي – بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، 1997م.
38)ما الأدب، جان بول ساتر، ترجمة: الدكتور محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة، (د. ت).
39)المختصر في أخبار البشر، ابن شاهنشاه، ط1، المطبعة الحسينية – مصر.
40)مصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين الأسد، دار المعارف – مصر، ط17، 1988م.
41)المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار الساقي، ط4، 1422هـ/ 2001م.
42)الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، ط4، (د.ت).

43)المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، أبو بشر الآمدي، تحقيق: ف. كرنكو، دار الجيل – بيروت، ط1، 1411هـ/ 1991م.
44)موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام، أحمد معمور العسيري، ط1، 1417هـ/ 1996م.
45)نزعة الالتزام في القصيدة العربية في العصر الأموي، د. جاسم حسين سلطان الخالدي، مجلة الفتح، العدد (35)، السنة: 2008م.
46)نزهة الألباء في طبقات الأدباء، كمال الدين الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار – الزرقاء، الأردن، ط3، 1405هـ/ 1985م.
47)النقد الأدبي الحديث، الدكتور محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة، 1997م، (د.ط).
48)الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي – مصر، (د.ت).

Abstract

The issue of self and collectivity is one of the most important issues raised in ancient and modern Arabic literature. This issue has expanded as a result of the circumstances of the expansion of human societies and the increasing ties between them. The expression of collective or national issues has been expressed by the French philosopher Rousseau.

In ancient literature we find the expression of the collective issues (commitment) in a number of poets, notably the pre-Islamic poet Zuhair ibn Abi Salma, who took the commitment has two major axes: the axis of war, and the focus of tribal pride